ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة التواصلية
ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X537
HTTPS://WWW.ASJP.CERIST.DZ/EN/PRESENTATIONREVUE/294
المجلد:07/ العدد: 22 (2021) ص: 57/47

دور السياق النصي في تحديد مفاهيم المصطلح النقدي القديم
مصطلح "النقد" أنموذجا

The role of the textual context in defining concepts of the old critic term The term "critic" as model

د. عمرو زاير
جامعة البليدة 02 (الجزائر)
amarabdouzair@yahoofr

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 2021/08/13
تاريخ القبول: 2021/10/03

الكلمات المفتاحية:
- ✓ السياق النصي:
- ✓ المصطلح النقدي:
- ✓ النقد:
- ✓ الدراسة النصية:

ملخص:

يلجأ كثير من الدارسين في اشتغالهم بالنقد العربي القديم، إلى الاستعانة بالمعاجم الاصطلاحية لا سيما المعاصرة منها لشرح بعض المصطلحات النقدية، ولكن في الكثير من الأحيان لا تبيّن هذه المعاجم مفاهيم هذه المصطلحات، لأنها تحدد معناها بعيدا عن النصوص التي وردت فيها، لذلك فإن محاولة فهمها بعيدا عن السياقات النصيّة التي جاءت فيها في أهم كتب النقد القديمة سيكون أمرا صعبا، إذ تشكّل هذه النصوص نسيجا متجانسا منسجما، تُسهّل عملية استنباط مفهوم هذه المصطلحات منها مصطلح "النقد"، لذلك يستحسن تجميع هذه النصوص واستنباط المفاهيم المختلفة التي أطلقها بعض النقاد القدامى على مصطلح "النقد" وكذا تتبع ما حصل فيه من تراكمات في معناه، بفضل الإضافات التي أضافها كل واحد منهم .

Article info

Received 13/08/2021
Accepted 03/10/2021

Keywords:
- ✓ *Textual Context:*
- ✓ *Critical Term:*
- ✓ *Criticism :*
- ✓ *Textual Study :*

Abstract :

Many scholars, in dealing with ancient Arabic criticism, prefer to use dictionaries, especially contemporary ones, to explain some of the critical terms, but in many cases these dictionaries do not make clear the concepts of these terms, because they explain them away from the texts from which they were extracted. These texts form a coherent homogeneous text, which helps us to develop the concept of "criticism" terminology for their integration, so it is advisable to avoid studying them separately.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

مقدمة

تسعى هذه الدراسة النصية لمصطلح "النقد" إلى تحديد مختلف المفاهيم التي أعطاها مجموعة من النقاد الذين أسهموا إسهاما كبيرا في إرساء أسس النقد العربي القديم خلال القرن الرابع الهجري وهم: ابن طباطبا (ت322هـ)في كتابه "عيار الشعر" وقدامة بن جعفر (ت337هـ) في كتابه "نقد الشعر"، ثم أبو بشر الآمدي (ت370هـ) في كتابه "الموازنة بين البحتري وأبي تمام" وفي الأخير القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت392هـ) في كتابه "الوساطة بين المتنبي وخصومة"، من خلال إحصاء واستنطاق بعض النصوص النقدية في المتون الخمسة، التي جاء فيها مصطلح "النقد"، والوقوف على مساهمة كل ناقد في إثراء مفهومه، باستقراء النصوص التي ورد فيها بعد تكراره عدة مرات، لأن استعمال المصطلح مرات عديدة يزيد في قوته الاصطلاحية، مع مراعاة السياقات المختلفة التي ورد فيها والتي تساهم كثيرا في تحديد مفهومه، **فكيف ساهمت هذه النصوص في تحديد مختلف مفاهيم مصطلح "النقد" عند النقاد العرب في القرن الرابع هجري؟**

1- أهمية المصطلح النقدي في التراث النقدي العربي القديم

تعد المصطلحات النقدية العربية القديمة، القاعدة الأساس التي يقوم عليها النقد العربي القديم، وإحدى المفاتيح المهمة لفهم النص النقدي التراثي، إذ يستحيل فهم هذا التراث بعيدا عن فهم مصطلحاته، فوضوح المصطلح النقدي، يؤدي إلى رؤية أفضل لتراثنا النقدي والأدبي واللغوي، فكان من الواجب العودة لهذا التراث المصطلحي الضخم، بالكشف عن مكامن الغموض فيه مع توضيحه وضبطه، مما جعل هذا الموضوع جديرا بالعناية والتنقيب، ويعتبر "النقد" من المصطلحات التي عرف مفهومها تطورا ملحوظا عند بعض النقاد القدامى، فقد أسهم كل واحد منهم في إثراء مفهومه حتى استقر عند أخر ناقد منهم.

2 ـ مصطلح "النقد" لغة واصطلاحا

النقد لغة هو تمييز صحيح الدراهم وإخراج الزيف منها، ونقدها ينقدها نقدا وانتقدها، إذا ميّز جيّدها من رديئها [1] ومنه جاء مفهومه حول نقد الدراهم، وتمييز جيدها من رديئها، ثم انتقل مفهومه من تمييز الدراهم إلى تمييز الشعر، وأصبح يستعمل للدلالة على تمييز الجيد من الرديء. أما اصطلاحا فالنقد نشاط عقليّ منظم، يقوم على ضوابط، يتولى تقييم العمل، من خلال تفسيره وتحليله، ثم الحكم عليه ببيان قيمته. ولا يبتعد الاستعمال الاصطلاحي للنقد عن معناه اللغوي الأصلي، بل استنبط منه، ونقد الطائر الأرض بمنقاره بحثا عن الحب، أي شقها ليستخرج منها الحبة، ثم تأخذ هذه اللفظة معنى أخلاقيا مجردا، فتطلق على التجريح في الشخص، إذ قيل إن نقدت الناس نقدوك، وإن تركتهم تركوك،

[1] – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، معجم لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتاب العلمية بيروت، ط1، 2003، (نقد).

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ثم تطور النقد من الخدش النفسي إلى الخدش المعنوي فأطلقت على الكلام وإبراز جيده من زائفه، فغدا النقد يحمل معنى الفحص والتمييز وإطلاق الحكم.

3- "علم الشعر" عند ابن طباطبا في كتابه "عيار الشعر"

يعتبر كتاب "عيار الشعر" [1] من الكتب المهمة في النقد الأدبي وفن الشعر، جمع فيه ابن طباطبا آراءه ليكون معيارا للشعراء في صناعتهم للشعر، وأتبع ذلك بالأمثلة التطبيقية التي توضح مذهبه، يقول في ذلك:" وكل ما أودعناه هذا الكتاب فأمثلة يقاس عليها أشكالها، وفيها مقنع لمن دق نظره، ولطف فهمه"[2] وهو كتاب موجه للشعراء الذين يحتاجون إلى مساعدة تعينهم على كتابة الشعر، وتقديم النصح والإرشاد للمبتدئين منهم، إذ حدد لهم طريقة بناء القصيدة الشعرية، والأدوات المطلوبة لبنائها، ويستخدم ابن طباطبا مصطلح علم الشعر بدل مصطلح النقد فيقول:" وفقك الله للصواب وأعانك عليه...ما سألت أن أصفه لك من علم الشعر" [3] فهو يطلب من الشاعر أن يعد الأدوات قبل خوض غمار الشعر "...وجماع هذه الأدوات كمال العقل الذي به تتميز الأضداد ولزوم العدل، وإيثار الحسن، واجتناب القبيح، ووضع الأشياء في مواضعها " [4] وهذا الإعداد لكل هذه الأدوات دليل على أن عملية قول الشعر ليست سهلة بل في غاية التعقيد والصعوبة، وهو يستعمل مصطلح المخض، ليُعَبّر به على صعوبة عملية الإبداع الشعري، وقد فصّل ابن طباطبا في بيان بداية المخاض الذي يكابده الشاعر لإخراج قصيدته للوجود" فالشعر عند ابن طباطبا نتاج فكري يدور مع النثر في إطار الموهبة الواحدة والإبداع الفني الصادر عن وعي عقلي وإرادة متمكنة..."[5] وتظهر منطقية تفكير ابن طباطبا في أنه جعل الأدوات التي يجب أن تتوفر لدى الشاعر، هي الأساس في إنتاج النص الشعري، مع أنه لم يغفل الموهبة والذوق فيقول: "فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن من تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحذق به"[6] فقد ارتقى بالذوق حتى أطلق عليه الفهم الثاقب، ولن يكون العقل الثاقب كذلك بالموهبة وحدها بل لا بد من التثقيف والإطلاع، وتشير النصوص السابقة إلى وصول النقاد العرب إلى فهم أفضل للشعر، الذي لا يكون الطبع مصدره الوحيد وإن كان وجوده ضروريا للإبداع الشعري، لكنه لابد أن يتوسل الشاعر بأدوات [7] تعينه على ذلك منها ما ذكره ابن طباطبا في عياره للشعر. ومنها عنصر هام جدا طالما أهمله النقاد الأوائل وهو الخيال، الذي يمكن الشاعر من تجاوز حرفية الواقع وابتكار صور

---

[1] – يقول جابر عصفور عن هذا الكتاب بأنه "معني بتحديد أصول الفن الشعري مما يجعله يلتقي مع كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر، ومنهاج البلغاء لحازم القرطاجني، وذلك لأن هذه الكتب الثلاثة تشتغل بقضية تأصيل الفن الشعري في ذاته وتحاول أن تقدم تصورات نقدية متماسكة تحدد ماهية الفن الشعري" انظر مفهوم الشعر، أحمد جابر عصفور ص 15.

[2] – أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، دار العلوم للطباعة والنشر الرياض المملكة العربية السعودية 1405هـ / 1985 م، ص 85.

[3] – بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، ص 5.

[4] – ابن طباطبا، عيار الشعر، ص 19.

[5] – الصفار ابتسام مرهون، حلاوي ناصر، محاضرات في تاريخ النقد عند العرب، جهينة للنشر والتوزيع عمان، (د ط)2013، ص 249.

[6] – ابن طباطبا، عيار الشعر، ص 3 ،4.

[7] – منها: التوسع في علم اللغة، معرفة علم العروض، ومعرفة علم القوافي، ومعرفة عادات العرب.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

جديدة، تعيد تركيبه بطريقة مختلفة، فالخيال مصدر الصورة الشعرية، ولكن العرب لم يعرفوا مصطلح الصورة، لذا اتهموا بأنهم أهملوا الاهتمام بالخيال، ولكنهم عرفوا مصطلحا آخر هو التخييل، الذي انتقل من مجاله الفلسفي إلى مجال البلاغة والنقد، ومن خلال مباحثهم البلاغية منها التشبيه والمجاز والاستعارة، من خلال بحثهم في ثنائية الحقيقة والمجاز عندما رفضوا حرفية العبارة، وربطوا بين الشعر والتصوير رغم اختلافهما في المادة، ولا ريب أن هذا يعكس وعيهم بقيمة الخيال وأهميته في بناء القصيدة، بوصفه عنصرا هاما في تكوين العمل الشعري. فلقد ربط الجاحظ بين القصيدة والصورة، حيث طرح فكرة الجانب الحسي في الشعر، وقدرته على توليد صور بصرية، في هجومه على أبي عمرو الشيباني عندما استحسن قول الشاعر وحكم له بجودة البيت انطلاقا من المعنى:

لاَ تَحْسَبَنَّ الموتَ مَوتٌ البِلى فَإنَمَا الموتُ سُؤَالُ الرِّجَالِ

كلاهما موت ولكن ذا أخف من ذاك لذل السؤال

يقول الجاحظ: "وأنا رأيت أبا عمرو الشيباني، وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين في المسجد يوم الجمعة، أن كلّف رجلاً حتى أحضر دواة وقرطاساً حتى كتبهما له. وأنا أزعم أن صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً". [1] والخطأ الذي وقع فيه أبو عمرو الشيباني في نظر الجاحظ هو انطلاقه في حكمه على البيتين من عنصر المعنى فقال: "وذهب الشيخ إلى استحسان المعنى، والمعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسيج، وجنس من التصوير" [2] ويقصد الجاحظ بالتصوير، صياغة الألفاظ بطريقة تُقَدِم المعنى تقديماً حسياً من خلال تصويره، وانطلق الجاحظ في رفضه لهذين البيتين من الصياغة، على أساس أن العبرة في الشعر صياغة هذه الأفكار صياغة جديدة مؤثرة، تعتمد على التصوير، وكلما كانت الصورة الشعرية بعيدة عن الحسيّة وأقرب إلى الخيال، كانت أجمل وأشد براعة وتأثيرا في المتلقي.

4- "علم جيد الشعر من رديئه" عند قدامة بن جعفر في كتابه"نقد الشعر" .

يُعَد كتاب قدامة "نقد الشعر" أول كتاب عربي في نقد الشعر يصرح بلفظ النقد في عنوانه، وضع قدامة في هذا الكتاب النقد على أساس من المنطق والفلسفة، وتحول النقد والبلاغة على يديه إلى منطق وحدود لا مجال فيه للذوق والشعور. لقد أراد قدامة أن يسد خللاً في حركة التأليف حول فن الشعر عند سابقيه، ذلك أن العلم بالشعر فيما يراه انقسم أقساماً خمسة، هي:

- علم عروضه ووزنه.
- علم قوافيه ومقاطعه.

[1] – أبو عمرو الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون ج1 دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1969/3، ص 131.

[2] – أبو عمرو الجاحظ، الحيوان، ص 131.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

- علم غريبه ولغته.
- علم معانيه.
- علم جيد الشعر من رديئه وقد سماه قدامة نقد الشعر.

يقول قدامة "ولم أجد أحدا وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتابا، وكان الكلام عندي في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام"[1]. فقد تم التأليف في الأقسام الأربعة الأولى، ولم يوضع كتاباً في نقد الشعر، وتخليص جيّده من رديئه، وهو أقرب الأقسام إلى جوهر العلم بالشعر؛ لأن دراسة الغريب والنحو وأغراض المعاني هي قواعد للكلام العام، وأصول تنطبق على الشعر وكذا على النثر لا تميز الخصائص الذاتية للشعر. أما دراسة الوزن والقافية فهي وإن خصت الشعر وحده ليست دراسة هامة لسهولة وجودها في طباع أكثر الناس لا تحتاج إلى تعلم.

يقول قدامة: " فأما علم جيد الشعر من رديئه فإن الناس يخبطون في ذلك منذ تفقهوا في العلوم، فقليلاً ما يصيبون، ولما وجدت الأمر على ذلك وتبيّنت أن الكلام في هذا الأمر أخص بالشعر من سائر الأسباب الأخر، وأن الناس قد قصروا في وضع كتاب فيه، رأيت أن أتكلم في ذلك بما يبلغه الوسع"[2] وقد عرف مصطلح "النقد" مع قدامة مرحلة جديدة من مراحل تطوره، وكانت مساهمته فعالة في تحويل النقد من مجال الذوقية والذاتية إلى "...مجال العلمية، وذلك من خلال إقصاء مجموعة من المقاييس النقدية التقليدية، أهمها مقياس الصدق والكذب، وإحلال مقاييس التصنيف والتقسيم والتعريف، والتي هي من سمات المنطق الأرسطي..."[3]

5 – "العلم بالشعر" عند الآمدي في كتابه الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري

يطلق الآمدي على النقد مصطلح "العلم بالشعر" والنقد عنده كالشعر صناعة تحتاج إلى ذوق وممارسة ودربة، وليس لمن لم يعد نفسه لذلك أن يخوض فيه:" إن العلم بالشعر قد خص بأن يدعيه كل واحد وأن يتعاطاه من ليس من أهله... فكيف لم يفعل في الشعر لما راقه حسن وزنه وقوافيه ودقيق معانيه وما يشتمل عليه من مواعظ وأدب وحكم وأمثال. فلم يتوفق عن الحكم له على ما سواه حتى يرجح إلى من هو أعلم منه بألفاظه واستواء نظمه وصحة سبكه ووضع الكلام منه في مواضعه وكثرة مائه ورونقه إذا كان الشعر لا يحكم له بالجودة إلا أن تجتمع هذه الخلال فيه"[4] واعتبر المعرفة بالشعر من اختصاص الناقد، وأن الناقد الحق هو من يستطيع تعليل أحكامه على الشعر، لذلك جعل العلم والموهبة والدربة وطول الملابسة أسلحة في يد الناقد، وليس في تقسيمات المنطق وحفظ اللغة ومقاييسها، وقد يظن أحدهم أنه باطلاعه عليها ومعرفته لها يستطيع أن يكون ناقدا يقول:" لعلك– أكرمك الله– اغتررت بأن شارفت تقسيمات المنطق أو جملا من الكلام والجدل... أو اطلعت على بعض مقاييس العربية... وأنك متى تعرضت له وأمررت

[1] – أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق وتعليق د محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ص89.

[2] – قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص 62.

[3] – جعنيد عبد الرزاق، المصطلح النقدي قضايا وإشكالات، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011، ص127.

[4] – أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف القاهرة مصر، 1995، ط5، ج1/ 389.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

قريحتك عليه نفذت فيه وكشفت عن معانيه. هيهات لقد ظننت باطلا ورمت عسيرا، لأن العلم من أي نوع كان لا يدركه طالبه إلا بالانقطاع إليه والإكباب عليه والجد فيه والحرص على معرفة أسراره وغوامضه..."[1] فالنقد عند الآمدي فن موهوب أكثر منه مكتسبًا، فالناقد هو من له موهبة فطرية وذكاء متوقّد يدرك بهما ما في الشعر من جمال وقبح، ويطلب الآمدي من غير أصحاب الصنعة أن يسلموا له ولأمثاله الحكم في الشعر، وأن يقبلوا منهم عن رضى تلك الأحكام: " إذا كان من الواجب أن يسلم لأهل كل صناعة صناعتهم ولا يخاصمهم فيها ولا ينازعهم إلا من كان مثلهم، نظرًا في الخبرة، وطول الدربة والملابسة." وليست الصناعة عند الآمدي بامتلاك خزينة من الكتب، أو حفظ جملة من القصائد، وإنما هي الموهبة، والطبع، والملكة المصقولة على التمييز بين الأبيات، وعلى تذوق الأساليب والوصف الفني لقصيد من الشعر أو رسالة من النثر واسمعه يقول: لا تصدق نفسك أيها المدعى. وتعرفنا من أين طرأ لك الشعر. أمن أجل أن عندك خزانة. من الكتب تشتمل على عدة دواوين الشعراء" [2] كذلك كان رآي الآمدي في النقد، وعلى هذا سار في نقد الطائيين، فقد أخذ يظهر ما فيه من عيوب وأخطاء، ثم وازن بينهما فيما لهما من روائع وحسنات، وصار ذلك الاتجاه نهجا الفني لنقاد بعده، وقد كان الذوق في منهج الآمدي من أساسيات النقد الأدبي ومن معاييره الهامة، على الناقد أن يتسلح به في تعامله مع الشعر، والذوق لغة "حاسة إدراكية تمكن المرء من التعرف على طبيعة المحسوسات"[3] أما اصطلاحا فهو "ملكة لا غنى لأي ناقد عنها، لأنها تمكنه من التعرف على مواطن الجمال والقبح...ويبقى الذوق هو الحكَم والفيصل فيما يصدر من النصوص الأدبية من الأحكام"[4] هو ذلك الاستعداد الفطري و المكتسب الذي يمكن الناقد من تذوق العمل الفني، واكتشاف جوانبه الجمالية. ويستخدم الآمدي الذوق المصقول المثقف، وجعله المعيار الذي يحكم من خلاله على شاعرين محدثين يمثلان تيارين مختلفين في قول الشعر، ومرجعه في ذلك ذوقه، فهو ناقد يهتدي به في نقده من أجل أن يقف موقفا وسطا بين أنصار مذهب الطبع الذي يمثله البحتري، وأنصار مذهب الصنعة الذي يمثله أبو تمام. فيدرس شعر كل شاعر من خلال النظرة الثاقبة والإحساس الصادق، بما في الشعر من جمال أو قبح "...وهو علة ما لا يعرف إلا بالدربة ودائم التجربة، وطول الملابسة. وبهذا يفضل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت تجربته أو قلت دربته بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبل لتلك الصناعة وامتزاج بها، وإلا فلا يتم، ثم أكلك بعد ذلك لاختيارك، وما تقضي عليه فطنتك وتمييزك، فينبغي أن تنعم النظر فيما يرد عليك ولن ينتفع بالنظر إلا من يحسن أن يتأمَّل، ومن إذا تأمَّل علم ومن إذا علم أنصف."[5] ويظهر أن الذوق عند الآمدي يتكون أولا من جانب فطري، ويتمثل في الطبع وهو الاستعداد الفطري الذي لا غنى للناقد عنه، وثانيا من جانب مكتسب وهو ما اكتسبه الإنسان بالدربة وطول التجربة وكثرة الاطلاع والملابسة، وثالثا الفطنة وهي المزج بين الطبع والحذق. وهذا المستوى إذا بلغه الناقد يكون أقدر على تمييز وتفسير وإصدار الحكم من غيره، فلا يستطيع تقييم الشعر من لا ذوق مهذب لديه، والذوق المهذب هو "ذلك الذوق الذي أنضجته العلوم، وصقلته الآداب،

---

[1] – أبو القاسم الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، 1/ 396.

[3] – الشريف محمد مهدي، معجم مصطلحات علم الشعر العربي دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 2004 ص67،68.

[4] – كبابة وحيد، معجم مصطلحات النقد الأدبي القديم عربي عربي، مكتبة لبنان ناشرون، دار صائغ بيروت لبنان، ط1، 2012، ص295.

[5] – أبو القاسم الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، 411/1.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وعلّمته كيف يهتدي إلى الجمال"[1] فمن الواجب الاعتراف بأن "...لأهل كل صناعة صناعتهم ولا يخاصمهم فيها، ولا ينازعهم إلا من كان مثلهم نظيرا في الخبرة وطول الدربة والملابسة"[2] هذا من الجانب النظري للنقد، أما من حيث التطبيق فقد كانت الموازنة وسيلته المهمة في النقد، وقد اتخذ منها الآمدي أهم آلية إجرائية في نقده والحكم على الشاعرين، وهي منهج يدل على بداية مرحلة جديدة في النقد، أطلق عليها الدارسون مرحلة النقد التطبيقي، التي بدأت مع المعركة الأدبية والنقدية في العصر العباسي، حول شاعرين كبيرين هما أبو تمام والبحتري، فانقسم الناس حولهما بين مدافع عن البحتري ومعدد لسيئات خصمه أبي تمام، ومنتصر لأبي تمام مغلبا إياه على البحتري، "فانبرى الآمدي يؤلف كتابه المشهور(الموازنة بين أبي تمام والبحتري)، ووازن بين شعريهما لا سيما ما اتفق في الوزن والقافية ثم بين معنى ومعنى"[3] وقد فاضل بينهما " لغزارة شعريهما وكثرة جيدهما وبدائعهما ولم يتفقوا على أحد ممن وقع التفضيل بينهم من شعراء الجاهلية والإسلام."[4] وقد ابتعد الآمدي على الأحكام الذاتية أو الاستناد عليها في استنباط أحكامه النقدية، وأعلن منذ البداية أنه سيكون موضوعيا باتخاذه موقفا محايدا، لا يميل إلى أحد الشاعرين بل يترك الحكم للمتلقي الذي يشترط فيه أن يكون محيطا بأصول النقد، وبابتعاده عن المعيارية في الحكم، تكون موازنة الآمدي قد حققت خصوصية ميزتها عن باقي الموازنات، التي كانت تقوم عند غيره على ثلاثة أطراف: الغالب والمغلوب وموضوع الموازنة، الذي يتقاسمه عند الآمدي ناقدان: الأول يحلل ويعرض القضية النقدية بكل معطياتها، ثم يقدمها لشخص رابع أكثر قدرة على الحكم، وهو الناقد الخبير وليس غيره، فأصبحت الموازنة عنده رباعية الأطراف بعد إضافة الناقد الخبير المختص بعلم جيد الشعر من رديئه، ثم يبين السبب الكامن وراء رفضه للنطق بالحكم على الشاعرين فيقول:" لست أحب أن أطلق القول بأيهما أشعر عندي لتباين الناس في العلم واختلاف مذاهبهم في الشعر... لأن الناس لم تتفق يوما حول من هو أشعر في مفاضلاتهم بين الشعراء لتباين مذاهبهم وأرائهم في الشعر، حتى أنهم لم يتفقوا على أي الأربعة أشعر رغم أنهم ينتمون لطبقة واحدة، امرؤ القيس، النابغة، الأعشى وزهير ولا في جرير والفرزدق والأخطل..." [5]إلا أنه في الأخير يميل لتفضيل البحتري وهو بحكمه هذا لا يخرج عن الذوق العام لعصره الذي يميل إلى الانتصار لعمود الشعر فيقول" البحتري أشعر من أبي تمام، وعن أبي تمام أخذ، وعلى حذوه احتذى ومن معانيه استقى" [6] لقد توصل الآمدي إلى الموازنة بهذه الطرق وحكم على الشاعرين من خلال المنهج الذي وضعه في مطلع كتابه.

لا يفرق الآمدي بين المفاضلة والمقارنة ويعتبرهما شيئا واحدا فيقول:" أما أنا فلست أفصح بتفضيل ...ولكني أقارن..." [7] والمقارنة هي إظهار ما عند طرفين أو أكثر من حسنات أو سيئات وهي بذلك تشبه الموازنة [8]، ويعد هذا

---

[1] – كبابة وحيد، معجم مصطلحات النقد الأدبي القديم عربي عربي، ص296.

[2] – أبو القاسم الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري 414/1.

[3] – التونجي محمد، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتاب العلمية لبنان، ط2، 1999، ج 2/ 834.

[4] – أبو القاسم الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ص4/1.

[5] – أبو القاسم الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ص5/1-6.

[6] – أبو القاسم الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ص6/1.

[7] – أبو القاسم الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، 1/ 6.

[8] – مطلوب أحمد، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989، 2/ 334.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

خلطا بين المصطلحين، إذ أن المقارنة تستدعي بيان أوجه الاختلاف وأوجه التشابه بين طرفين أو أكثر، ومن هذه الناحية فهي تشبه الموازنة، التي تختلف عن المقارنة في تغليب طرف على آخر.

وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن ببعض العناصر التي حددها الآمدي في كتابه، فبعد أن كانت الموازنات تتم على أساس الذوق الشخصي، أصبحت المعايير في هذا العصر محددة، وأصبح المحك الذي يخضع له الشعر هو عمود الشعر بعناصره المختلفة، التي يجب أن تتوفر في الشعر ليحوز رضا النقاد فيصنف في أعلى المراتب.

6-النقد عند القاضي الجرجاني

ورد مصطلح النقد بمعنى تمييز الجيد من الرديء يقول:" إذا قِست أبيات أبي الطيب بها على قصَرها، وقابلت اللفظ باللفظ، والمعنى بالمعنى، وكنت من أهل البصر، وكان لك حظٌ في النقد، تَبَيَّنتَ الفاضل من الفضول. فأما أنا فأكرهُ أن أَبتّ حُكماً أو أفضّل قضاء، أو أدخل بين هذين الفاضلين، وكلاهما مُحسِن مصيب"[1]. فالقاضي الجرجاني يستعمل مصطلح "النقد" ويعترف أن دوره هو تمييز الجيد من الرديء، إلا أنه كره إصدار الأحكام والتفضيل بين أمرين كلاهما مستحسن، كما ورد مصطلح النقد عنده بمعناه السلبي أي تتبع أخطأ الشعراء وسقطاتهم، دون الوقوف على محاسن أشعارهم ومزياهم، كما فعل خصوم المتنبي مع شعره يقول: "وبرئنا إليك ما يوجبه عقد الكفالة وأفضلنا، ولم تكن بقيتنا الاختيار، واستقصاء الانتقاد"[2].

اتخذ الجرجاني في كتابه الوساطة المقايسة منهجا له فكانت أكثر نجاحا من الموازنة عند الآمدي و"المقايسة هي النظرة إلى شعر شاعر من خلال شعر شاعر آخر أو شعر آخرين، وقد اتخذها الجرجاني منهجا في نقده ووساطته بين المتنبي وخصومه، متخذا من عمود الشعر منطلقا في النقد والتقويم"[3]. لقد أصبحت الموازنة مرحلة متطورة من مراحل نقدنا القديم، فلم يعد الذوق الشخصي المعيار الوحيد للحكم على الشعر، إذ بدأت الممارسة النقدية تقترب بدرجة كبيرة من الموضوعية، والتطبيق منذ بداية القرن الرابع الهجري، مع ناقدين بارزين هما الآمدي والقاضي الجرجاني، فجاء النقد في هذه المرحلة أكثر عمقا وأوسع من الآراء السطحية التي كانت قبل ذلك. وعليه أصبحت شروط الناقد الجيد هي الرواية أي الثقافة، والدربة والمرونة، والفطنة، الموهبة، وصحة الطبع، وبهذا يكتسب الناقد القدرة على الحكم على الشعر بعد أن أصبح يعتمد على العلم والمنطق في التحليل الأدبي، وهذا ما نستشفه من خلال استعمال القاضي لمصطلح النقد، وتعتبر المقايسه أهم إجراء نقدي استخدمه الجرجاني في الموازنة بين الشاعرين، والمقايسة "...هي النظرة إلى شعر شاعر من خلال شعر شاعر آخر أو شعر شعراء آخرين..."[4] وكان للجرجاني الفضل في استعمال المقايسة أو قياس الأشباه والنظائر، التي تقوم على تحديد الأخطاء التي وقع فيها الشعراء قبل المتنبي في الشعر، والمقابلة بينها وبين أخطاء

---

[1] – أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق أحمد عارف الزين، دار المعارف للطباعة والنشر سوسة تونس، ط1، 1992، المصدر نفسه، ص111.

[2] – القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ص147.

[3] – كبابة وحيد، معجم مصطلحات النقد الأدبي القديم عربي عربي، ص 560.

[4] – كبابة وحيد، معجم مصطلحات النقد الأدبي القديم عربي عربي، ص 560.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

المتنبي، ليبين أن ما وقع فيه المتنبي قد وقع فيه غيره من الشعراء وليثبت أن الخطأ عند الشعراء وارد، وهي الطريقة الأولى التي اعتمد عليها القاضي الجرجاني كمنهج في نقده فجعلها أساس منهجه التطبيقي، فهو يقيس شعر المتنبي على من سبقه من الشعراء قبل إطلاق الحكم عليه، فلا يلجأ إلى تخطيئه بل ينظر إلى أشعار السابقين ويقيسه بأشباهه ونظائره التي وردت عند الشعراء المتقدمين فيقول:" ودونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية فانظر هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يكمن لعائب القدح فيه إما في لفظه أو نظمه أو ترتيبه وتقسيمه، أو معناه وإعرابه ولولا أن أهل الجاهلية جدوا بالتقدم، واعتقد الناس أنهم القدوة والأعلم والحجة، لوجدت كثيرا من أشعارهم معيبة مسترذلة مردودة منفية... "[1] والخطأ طبيعة في البشر، وكل الشعراء يلحنون قدماء ومتأخرون.

ويتقبل الجرجاني من المتنبي الخطأ في اللفظ والمعنى، ولكن هذا لا يعني قبول الخطأ، وإنما البرهنة على أن الخطأ ظاهرة مشتركة موجودة في كل العصور وعند كل الشعراء، فلماذا يحاسب المتنبي على نفس الخطأ ولا يحاسب عليها الآخرون عليه. ففي قضية التعقيد يرى الجرجاني أن أبا تمام تمادى كثيرا في غموض معانيه وتعقيدها مقارنة بالمتنبي، إذ يشكل أبو تمام ظاهرة في مسألة التعقيد والغموض في الشعر العربي القديم، فقد بدا شعره أكثر عمقاً وغوصاً وراء المعاني البعيدة، مع ذلك لم يسقط شعره فيقول:" ولو كان التعقيد وغموض المعنى يسقطان شاعرا لوجب أن لا يرى لأبي تمام بيت واحد..."[2] لقد أقرَّ الجرجاني بالأخطاء في شعر المتنبي وبيَّن أنواعها "...غير أنه لم يوفق كل التوفيق لأنه اتخذ عمود الشعر منطلقا له في النقد والتقويم، وانتهى أن الشعر لا ينظر إليه بالجدل والمقايسة، بعد أن كانت المقايسة مقياسه"[3] وبهذا وصلت المقايسة عنده إلى باب مسدود، وانتهت كما انتهت الموازنة معلنة عجزها عن تبرير ما يمكن تعليله وما لا يمكن تعليله من شعر المتنبي. "فالناقد عند الجرجاني هو الناقد نفسه عند الآمدي، ومنطقة ما لا يعلل ويتحاكم فيه إلى الطبع النقدي مشتركة عند كليهما، إلا إنها أوسع لدى الجرجاني مما هي لدى الآمدي، وسبب ذلك هو الفرق بين المقايسة والموازنة"[4] إنه الرجوع لنقطة اللاتعليل والعودة للذوق في تحديد الجودة فهذا "... باب يضيق مجال الحجة فيه، ويصعب وصول البرهان إليه، وإنما مداره على استشهاد القرائح الصافية والطبائع السليمة التي طالما رستها للشعر فحذفت نقده وأثبتت عياره وقويت على تميزه وعرفت خلاصه "[5] وهنا يأتي دور الناقد الذي يرضى قوله في مثل هذا دون أخذ ورد. ولكن بقوله: " وما أنكر أن يكون كثير مما عددته من هذه الأبيات ساقطة عن الاختيار غير لاحقة بالإحسان، وأن منها ما غلب عليه الضعف، ومنها ما أثر فيه التعسف، ومنها ما خانه السبك فساء ترتيبه وأخل نظمه، ولكن الذي أطالبك به وألزمك إياه ألا تستعجل بالسيئة قبل الحسنة، ولا تقدم السخط على الرحمة، وإن فعلت فلا تهمل الإنصاف جملة وتخرج عن العدل صفرا "[6]؛ ومن هذا يتضح لنا أن مبدأ المقايسة يصلح بصفة نسبية وليست

---

[1] – القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص 20.

[2] – القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص 419.

[3] – وحيد كبابة، معجم مصطلحات النقد الأدبي القديم عربي عربي، ص 560.

[4] – عباس إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة بيروت لبنان، ط 4، 1983، ص321.

[5] – القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص 99 ، 100.

[6] – القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، 100.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

مطلقة في فحص الشعر وتقييمه، وهذا ما كان الجرجاني على وعي تام به حين قال: " والشعر لا يحبب إلى النفوس بالنظر والمحاجة، ولا يحلى في الصدور بالجدال والمقايسة، وإنما يعطفها عليه القبول والطلاوة ويقربه منها الرونق والحلاوة؛ وقد يكون الشيء متقنا محكما ولا يكون حلوا مقبولا، ويكون وثيقا وإن لم يكن لطيفا رشيقا " [1] يدل هذا على اعتراف الجرجاني بضرورة الاستعانة بالذوق الشخصي للناقد الذي تكون استجاباته هي الأساس الذي يبنى عليه تقدير الأعمال الأدبية والحكم عليها بالجودة أو بالرداءة، وبهذا يسجل الجرجاني عودته إلى النقد التأثري بعد اعترافه بعجز المقايسة عن الوصول لتحديد الجودة تحديدا منطقيا، وهو نقد ينتج عن طول مزاولة قراءة الشعر وتذوقه ثم الحكم له أو عليه، أي أن يكون تقويم الناقد للعمل الأدبي مبنياً على أساس ما يبعثه في نفسه من ارتياح، مادام الشعر لا يمكن أن يتحول إلى منطق، فبالذوق وطول الملابسة نصل إلى إدراك القيم الجمالية في الإبداع الشعري، وليس بتطبيق المعايير والقواعد تطبيقا آليا. وإذا كان النقد يقوم على الذوق فمن باب أولى أن يكون الشعر كذلك، لذا يعود الجرجاني لعناصر الشعر الأربعة التي يعتبرها أهم الخصائص التي لا بد منها لإنتاج الشعر وهي: الطَّبْع والذكاء والرواية، والدُّربة. وهي العناصر التي شكلت نظرية الموهبة المصقولة عند الناقد "فإذا كانت موهبة الأدب فطرية، فإن النقد كذلك موهبة فطرية تهيء الناقد لتذوق الأدب والحكم عليه، والمقدرة على تبيين وتعليل ما قد يكون فيه من جمال أو قبح"[2] هذه الموهبة التي تحتاج إلى صقل عن طريق الرواية والتمرس بالأساليب الفصيحة والدربة واختيار الألفاظ والمعاني السليمة.

خاتمة

يواجه المصطلح النقدي كغيره من مصطلحات العلوم الأخرى، إشكالا هاما يتعلق بعملية ضبط مفهومه، وتتم عملية ضبط مفاهيم المصطلحات عبر مراحل عديدة، يكتسب فيها المصطلح تراكما مفاهيميا، فيستقر في نهاية رحلته نحو الاصطلاحية، على مفهوم واحد يُستعمل به، خاصة لما يكون داخل إطار الثقافة الواحدة، وهذا ما حصل لمصطلح "النقد" في دورانه عند هؤلاء النقاد القدامى، وقد تم تحديد مختلف مفاهيم مصطلح "النقد" انطلاقا من نصوص هؤلاء النقاد، تفاديا للخلط بين النص الأصلي للمؤلف وبعض النصوص الشارحة، تم اعتماد النصوص المنسوبة للمؤلف، وليس النصوص المروية عن غيره، حتى لا يخرج الموضوع بذلك عن دراسة المصطلح عند المؤلِف المعني بالدراسة، إلى ما نقله عن غيره من العلماء من استشهادات، كما اقتصرت على النصوص التي ساهمت في توضيح مفهوم هذا المصطلح أكثر لا كل النصوص، فالمصطلح الواحد يرد في الكثير من النصوص، ولكن هناك نصوص معتبرة تساعد كثيرا في فهم المصطلح، وهناك نصوص أخرى أقل أهمية لا تثري دلالة المصطلح لم تُعتمد.

[1] – القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص 100.

[2] – وحيد كبابة، معجم مصطلحات النقد الأدبي القديم عربي عربي ، ص 590.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

قائمة المصادر والمراجع

1ـ أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق أحمد عارف الزين، دار المعارف للطباعة والنشر سوسة تونس، ط1، 1992.

2ـ أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، دار العلوم للطباعة والنشر الرياض المملكة العربية السعودية 1405هـ / 1985م.

3 ـ أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق وتعليق د محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

4 ـ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، معجم لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتاب العلمية بيروت، ط1، 2003.

5 ـ أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف القاهرة مصر، 1995، ط5، ج1.

6 ـ التونجي محمد، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتاب العلمية لبنان، ط2، 1999، ج 2.

7 ـ جعنيد عبد الرزاق، المصطلح النقدي قضايا وإشكالات، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011،

8 ـ –الشريف محمد مهدي، معجم مصطلحات علم الشعر العربي دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 2004.

9 ـ الصفار ابتسام مرهون، حلاوي ناصر، محاضرات في تاريخ النقد عند العرب، جهينة للنشر والتوزيع عمان، (د ط) 2013.

10 ـ عباس إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة بيروت لبنان، ط 4، 1983.

11 ـ– كبابة وحيد، معجم مصطلحات النقد الأدبي القديم عربي عربي، مكتبة لبنان ناشرون، دار صائغ بيروت لبنان،ط1، 2012.

12 ـ مطلوب أحمد، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989، 2.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)